نور حميد تكتب من تايلاند

تايلاند

مغامرة لا تعرف النهايات

أرضد العجائب .. أوقلّ الوجهة السياحية الأبرز في جنوب شرق آسيا، ففي الجنوب الشرقي من من القارة الآسيوية، وتحديدًا في شبه جزيرة الهند الصينية ترقد «تايلند» أو «مملكة سيام» في سلام ووداعة وسحر آخاذ.

اشتقت تايلان اسمها الحالي من مركب من كلمتين يَعني «أرض الأحرار»، فكلمة «تاي» الحر في اللغة التايلاندية وهو اسم للتعبير عن الفخر بأن تايلاند هيَ الدولة الوحيدة التي لم تتعرض للاستعمار في منطقة جنوب آسيا، رغم ما يشير إليه البعض من أن تايلاند كانت إحدى المستعمرات البريطانية، على الرغم من أن سيطرة الإمبراطورية البريطانية على البلاد كانت ضعيفة.

يقدر عدد سكان تايلاند بحوالي ٦٦ مليون نسمة، يعيشون على ٥١٣,١٢٠ كم٢، مما يضعها في المرتبة ٢٠ عالميا حسب عدد السكان، ونظامها السياسي ملكي دستوري، حيث يحكم البلاد منذ عام ٢٠١٦ الملك راما العاشر، عاشر ملوك سلالة تشاكري، الذي يملكها

سر لبس نساء قبيلة «الكايان» حلقات نحاسية حول الرقبة منذ الصغر

خضنا رحلة في الأرض التايلاندية ما بين الجزر والشواطئ والشلالات و الخضرة بين الأصالة والمعاصرة، بين الطبيعة البكر، والعادات والتقاليد المتوارثة.

بدأت رحلتنا مع بداية صيف أغسطس إلى أرض العجائب مملكة تايلند، التي تشتهر بتوافد السياح بهذا الشهر بشكل كبير جدا للاستمتاع بالخضرة والترفيه والرحلات الى مختلف المدن والجزر للإسترخاء والتعرف على تقاليد وعادات الشعب التايلندي.

قبيلة «الكايان» ووردة الشمال

في البداية زرنا مدينة «شيانغ ماي» Chiang Mai والتي تسمى بـ"وردة الشمال"، بدأت رحلتنا فيها بالصعود إلى أعالى الجبال الشاهقة لنتعرف عن قرب على قبيلة "الكايان"، التي تشتهر بذوات الرقاب الطويلة، حيث تتميز نساء هذه القبيلة بطول أعناقهن بسبب لبسهن حلقات نحاسية حول رقابهن منذ الصغر، وكلما تقدمن في العمر زاد عدد الحلقات النحاسية لتشد أعناقهن للأعلى أكثر وأكثر.

وسبب هذه العادة الغريبة كما علمنا هو وجود اعتقاد راسخ في ثقافة القبيلة يشير إلى أنّ جمال المرأه يتركز في عنقها وأنه كلما طال عنق المرأة كلما كانت أكثر جمالاً.

وهذا التقليد له جذور قديمة لدى أهل تلك المنطقة التي تقع على الحدود بين بورما وتايلاند، إذ كانوا يعتقدون أن هذه الحلقات تمنع هجوم الحيوانات المتوحشة على المرأة، أو لحمايتها من تجارة الرقيق، أما الآن فأصبحت من عاداتهم وتقاليدهم الأساسية الخاصة بأنوثة وجمال المرأة.

والطريف والغريب في الأمر أكثر أنّ نساء هذه القبيلة لا يستطعن التخلي عن هذه الحلقات أبدًا، إلا إذا اتهمت المرأة بالخيانة، وهو أحد أنواع العقاب لإنها بذلك ستلقى حتفها، إذ قد تتعرض رقبتها للكسر لأتفه الأسباب، وتصاب بعدها بالاختناق فوراً، غير أنّ خلع هذه الحلقات أمر شاق جدًا، ويحتاج إلى وقت طويل.

ويحترف الجانب الأكبر من أولئك

نساء هذه القبيلة لا يستطعن التخلي عن هذه الحلقات أبدًا، إلا إذا اتهمت المرأة بالخيانة

النسوة صناعة النسيج والفخار والتماثيل والإكسسوارات المصنوعة من الخيوط المطاطية.

جبال عاتية ورحلة نهر و"حنطور"

بعد ذلك انتقلنا سيرًا على الأقدام بين الجبال لمشاهدة أحد أجمل شلالات شنغماي، حيث تتميز شنغماي بالعديد من الجبال الشاهقة التي تغطيها الغابات، والمجاري المائية التي تنحدر منها الشلالات، فضلاً عن العديد من البحيرات التي تقدم مسارات للمشي مع مناظر خلابة، وتعد أجمل المعالم الطبيعية التي توجد في المنطقة هي شلالات شنغماي التي تأتي بمختلف الأشكال

والأحجام.

وشلالات شنغماي، تبعد حوالي ساعة بالسيارة عن وسط المدينة، لذلك على الزائر أن يأخذ معه بعض الوجبات الخفيفة والمشروبات وملابس السباحة وهو متجه إليها.

سبحنا مع تيار الشلال الهادر والتقطنا الصور التذكارية في مصب الشلال، ثم نزلنا من الجبال وأخذنا جولة على قارب خشبي في مجرى نهر تبدو مياهه قاتمة اللون، القارب كان يقوده أحد صناع هذه القوارب التي مازالت تصنع هناك بشكل بدائي، كان يقود المركب وهو يرتدي قبعة مخروطية ويجدف بعصاة بسيطة مصنوعة من جذوع الأشجار والابتسامة لا تفارق وجهه.

وبعد أن توقفنا ونزلنا من القارب الخشبي كان علينا أن نستقل عربة "حنطور" تجرها الثيران البيضاء لتنقلنا الى جولة أخرى وهي الركوب على ظهور الفيَلة لتأخذنا الى داخل الغابات الآسيوية ذات الأشجار شاهقة الإرتفاع والغصون المتدلية والمتداخلة في بعضها البعض، تجري من تحتها الأنهار، وتتقافز بينها القردة التي تنتشر بصورة كبيرة في أعلاها.

وتحتوي شنغماي على أكثر من ١٢ شلالاً، أفضل وقت لزيارتها عادة ما يكون بين شهري يونيو ونوفمبر وكذا بين شهري سبتمبر وأكتوبر لإن الشلالات خلال هاتين الفترتين تكون الشلالات في أعلى مستويات تدفقها.

طيران في غابة مطيرة

وفي اليوم التالي كانت رحلتنا في أعماق الغابات المطيرة، حيث صعدنا جبلاً شديد الارتفاع لا سبيل للنزول منه إلا عن طريق

نور حميد والقفز إلى المجهول

الانزلاق السريع وكأننا نطير عبر حبل ممدود من شجرة لأخرى بعيدة، أو عن طريق السير فوق ألواح معلقة من تحتنا بين الأشجار، أو مشيًا على الحبل في أحيان ثالثة وسط هطول الأمطار الغزيرة والرياح القوية العاتية، مما جعلنا نشعر بالبرد الشديد بسبب تبلل ثيابنا بالكامل، إلا أنك تعيش هناك تجربة فتى الأدغال "طرزان" وهو ينتقل من شجرة لأخرى.

سفاري ليلي

ومع حلول المساء بدأنا رحلتنا في حديقة «السفاري الليلي» في شنغماي Chiang Mai Night Safari. وهى رحلة ممتعة في حديقة للحيوانات تمتد مساحتها الى ٣٢٨ فدانًا وتشمل انواعًا كثيرة من الحيوانات كالزرافات والاسود والنمور ووحيد القرن .. وغيرها.

يتاح للزائرين خلال تلك الرحلة مشاهدة عروض حيوانات الغابة المفترسة من خلف الزجاج، حيث تمتزج تلك العروض بأصوات ومؤثرات تثير حماس الزائرين وخوفهم واندهاشهم في الوقت ذاته.

وبعد عرض الحيوانات انتقلنا الى محطة ثانية من محطات «السفاري الليلي»، فقد

تايلاند تعني «أرض الأحرار» تعبيرًا عن الفخر بأنها الدولة الوحيدة التي لم تستعمر في جنوب آسيا

ركبنا حافلة صغيرة مفتوحة من جميع الإتجاهات لا سقف لها، أخذ سائقها يتجول بنا بين الأشجار الكثيفة الطويلة المتشابكة وفجأة وجدنا أنفسنا وسط جماعات الحيوانات التي كانت قريبة جدا، فهناك أسراب الحمار الوحشي تسير حول الزائرين وتنشغل بتناول العشب، لنمر بعد ذلك وسط قطيع من الخنازير التي أخذت تدور حولنا حيث فقمنا بإلقاء الطعام إليهم، وبعد مسافة قليلة شاهدنا قطيعًا من الزراف يعجب الزائر من كم الإرتفاع الشاهق لأعناقهن، غير أن الأكثر غرابة كان ذلك القطيع من الأفيال الضخمة التي أخذت تمد خراطيمها نحونا دون خوف أو عنف، إلى جان بعض النمور والأسود إلا أن هذين الحيوانين كانا يتحركان خلف سياج رفيع لأسباب معروفة بالطبع.

بعد ذلك انتقلنا للمحطة الأخيرة من الرحلة وهو عرض بإناث النمور فلأول مرة وربما للمرة الأخيرة سترى نمورًا تتقافز في المياه ويداعب مدربه وتقفزن الحواجز وغيرها من الألعاب البهلوانية الضاحكة.

في مدينة بوكيت

بعد أن انتهت جولاتنا في مدينة شنغماي انتقلنا الى مدينة بوكيت عن طريق الطيران الآسيوي الداخلي (Air Asia)، حيث تبعد المدينة عن شنغماي ما يقارب الساعتين بالطيران، ورغم ذلك لم تكن الرحلة شاقة.

وبوكيت أو فوكيت هي واحدة من المناطق الواقعة إلى الجنوب من تايلاند، والتي تتألف من جزيرة فوكيت بإعتبارها أكبر جزيرة في البلاد، كما يتناثر على سواحلها ٣٢ من الجزر الصغيرة. ويتم الوصول إلى جزيرة بوكيت عن طريق جسر

مقاطعة فانغ نغا إلى الشمال. أقرب منطقة للجزيرة هي كرابي، إلى الشرق عبر خليج بان ناه.

تبلغ مساحة بوكيت نحو ٥٧٦ كيلومتر مربع (٢٢٢ ميل مربع)، وهى تستمد ثرواتها من القصدير والمطاط، وكانت الجزيرة قديمًا على أحد الطرق التجارية الرئيسية بين الهند والصين، فكانت ممرًا للسفن الأجنبية البرتغالية، والفرنسية، والهولندية، والإنجليزية، ولكنها الآن تدر أكثر دخلها من السياحة.

فور وصولنا أخذتنا سيارة أجرة للذهاب إلى حديقة الحيوان الصغيرة لرؤية عروض أخرى من الحيوانات، مثل عروض القرد المضحك الذي تارة يرفع الأوزان الثقيلة وتارة يسوق دراجة ويمسك سلة ليجمع التفاح فيها، ثم يمسك مظلة ويجلس واضعًا قدمًا فوق قدم.

ومن القرد الفكاهي الى عرض التماسيح شديد الخطورة، حيث يضع المدرب رأسه ويده بداخل فم التمساح ليصفق له الجمهور على ذلك، ليبدأ بعد ذلك العرض الكبير الخاص بالأفيال مختلفة الأحجام، كلٍ منهم يقدم عرضًا باهرًا، حيث قام بعضهم بتسديد كرات القدم في الشباك، بل ويحرز الأهداف!!، البعض الآخر كان يقوم بالرسم على اللوحات حيث يمسك فرشاة الرسم بخرطومه، ليرسم لوحة ذات أبعاد وملامح وكأنها لرسام محترف. الأكثر غرابة من كل ذلك قيام هذه الأفيال بالرقص على إيقاع الموسيقى.

في صبيحة اليوم التالي توجهنا نحو مرسى السفن لنبدأ برحلة بحرية في جزر بوكيت في داخل خليج "بان ناه". زرنا أول جزيرة، جزيرة «باناك» على متن مركب كبير وقف على شاطئ الجزيرة، ونزلنا منه في قوارب مطاطية وسط هطول الأمطار الغزيره التي جعلت القوارب تميل يمينًا ويسارًا لندخل الى داخل الجزيرة عن طريق ممر كهف الخفافيش المظلم الذي لم يكن بمقدورنا أن نبصر فيه سوى أعينٌ خفافيش تلمع في الظلام الدامس، لنخرج من الجهة الأخرى على مشهد من الخضرة والمياه الزرقاء النقية.

بعد ذلك عدنا إلى مركبنا لنتجه الى جزيرة "هونق" ونزلنا بالقوارب المطاطية مرة أخرى في الجزيرة المليئه بالقرود، القرود تنتشر في كل مكان تصرخ وتلعب وتلاحق بعضها بعضًا.

بعد ذلك اتجهنا نحو جزيرة "جيمس بوند" والتي استعارت اسمها من فلمين لـ "جيمس بوند" تم تصويرهما في ذات الموقع، مرة في فلم "جيمس بوند ذو المسدس الذهبي" وهو "غد لا يموت". نزلنا عن طريق زورق كبير إلى وتجولنا فيها وسط أمطار كانت تهطل بغزارة.

قررنا في اليوم الثالث خوض تجربة التجديف في النهر، فذهبنا الى أحد الأنهار الشهيرة في غابات بوكيت وركبنا قاربًا مطاطيًا برتقالي اللون، أخذنا ن لمسافة ما تقارب ٧ كيلومترات حتى عبرنا شلالاً صغيرًا، واصطدمنا ببعض الصخور الكبيرة في المياه حتى كاد ان ينقلب بنا القارب عدة مرات.

بعد وصولنا الى نهاية النهر نزلنا وانتقلنا الى داخل الغابه بواسطة دراجات رباعية العجلات أخذنا نتنقل بها وسط الأشجار المتشابكة والأنهار الصغيرة الجارية من حولنا.

في رحاب بانكوك

في ظهر اليوم التالي سافرنا الى العاصمة «بانكوك» عبر الطيران ذاته. وبانكوك هي في نفس الوقت مقاطعة ومدينة. وتعتبر ميناء تايلاند الأول. وتتميز بانكوك بمناخ رطب وحار، وبمعدل أمطار عالي، كما تحتل المركز ٢٧ على مستوى العالم من حيث كثافة السكان.

بسبب موقعها الاستراتيجي في جنوب شرق آسيا كانت بانكوك منطقة عازلة بين الإمبراطوريات الاستعمارية الفرنسية والبريطانية، وقد اكتسبت سمعة كمدينة مستقلة ومستقرة وحيوية. وتعتبر بانكوك حاليًا عاصمة البلاد والمركز السياسي والاجتماعي والاقتصادي في تايلاند، وواحدة من المدن الرائدة في جنوب شرق آسيا.

وفور وصولنا أخذنا قسطًا من الراحة، ثم بدأنا بالتسوق في مجمعات وأسواق بانكوك المعروفه برخص ثمن بضائعها، إذا أنها تتميز بالصناعات المحلية للملابس والاكسسوارات ومستحضرات التجميل ووجود جميع الماركات العالمية والمقلدة والبضائع الصينية التي تجتاح الأسواق، إضافة الى الماركات التايلندية الأصلية وبديل الذهب.